
شرح
ثلاثة الأصول وأدلتها


محمد بن شمس الدين



المحتويات

مقدمة.. ١
إسناد الرسالة ٥
المتن مجردًا.. ٧
الشرح.. ٢٧
المسائل الأربعة.. ٢٧
المسائل الثلاثة.. ٣٦
الأُولَى:.. ٣٧
الثَّانِيَةُ:.. ٣٩
الثَّالِثَةُ:.. ٤١
الحنيفية ٤٤
الأصول الثلاثة.. ٤٩
الأصل الأول: معرفة الرب.. ٥٠
أنواع العبادة.. ٥٧

[الأصل الثاني:] مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ.......................................٦٩

المرتبة الأولى: الإسلام...٧٠

المرتبة الثانية: الإيمان... ٨١

القدر...٨٤

الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ...٨٥

[الأصل الثالث]...٩١

مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ...٩١

الهجرة...٩٦

الفترة المدنية...١٠١

البعث بعد الموت... ١٠٥

الكفر بالطاغوت..١٠٧

* * *

مقدمة

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد

هذا شرح مختصر لمتن «ثلاثة الأصول وأدلتها» للشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى.

وهي رسالة نافعة في بابها، بل لم أجد متنا يقوم مقامها، فقد جمعت أصول الدين في ورقات قليلة.

والاسم الصحيح لها هو «ثلاثة الأصول»

قال الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ: «الشيخ - رحمه الله تعالى - له رسالة أخرى بعنوان الأصول الثلاثة، رسالة صغيرة أقل من هذه علمًا؛ ليعلمها الصبيان والصغار تلك يقال لها الأصول الثلاثة، وأما ثلاثة الأصول فهي هذه التي نقرأها، ويكثر الخلط بين التسميتين، ربما قيل لهذه ثلاثة الأصول، أو الأصول الثلاثة، لكن تسميتها المعروفة أنها ثلاثة الأصول وأدلتها»

وهذه الرسالة مقسمة إلى مقدمة وأصل، والمقدمة فيها أربع مسائل يراد منها ضبط الخطة العلمية والعملية للمسلم. أما الأصل ففيه ثلاث أصول، وهي معرفة الله ورسوله والإسلام. فذكر تعريفا مختصرا لكل أصل من هذه الأصول، مع بيان ملة إبراهيم ﷺ. وختم بمسألة البعث والحساب.

إسناد الرسالة

تلقيت هذا المتن عن عبد العزيز آل الشيخ بقراءة غيري عليه بقصد الدراية في الأكاديمية الإسلامية المفتوحة، فشَرَحَه في اثني عشر مجلسًا، وهو قرأه على الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ، وهو عن شيخه عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن إجازة إن لم يكن سماعًا، وهو عن والده عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، عن جده محمد بن عبد الوهاب.

وأريه سماعا على صالح العصيمي في المسجد النبوي، وهو يرويه عن عبد العزيز بن صالح ابن مرشد، قراءً عليه، عن عبد

اللطيف عبد الرحمن بن حسن، عن جده محمد بن عبد الوهاب.

وسماعا على دوخي الحارثي، وبقراءتي على محمد عبطان القثامي، وكلاهما يرويه عن سليمان الحمدان، وهو عن عبد الستار الصديقي، وهو عن أحمد بن ابراهيم بن عيسى، وهو عن عبد الرحمن آل الشيخ، وهو عن جده محمد بن عبد الوهاب.

المتن مجردًا

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اعْلمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَع مَسَائِلَ:

المسألة الأُولَى: الْعِلْمُ: وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ ﷺ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بالأَدِلَّةِ.

المسألة الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ.

المسألة الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ.

المسألة الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾

قَالَ الشَّافِعِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – : «لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ»

وَقَالَ البُخَارِيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ـ : بَابُ: العِلْمُ قَبلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ اله إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ.



اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، تَعَلُّمُ هَذِهِ المَسَائِل الثَّلاثِ ، والْعَمَلُ بِهِنَّ:

الأُولَى:أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا * فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا**﴾

الثَّانِيَةُ: أَنَّ الله لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ، لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ**

لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾

الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ، وَوَحَّدَ اللهَ لا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**



اِعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ، أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ، مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ. وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾** وَمَعْنَى يَعْبُدُونِ : يُوَحِّدُونِ.

وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ. وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْه الشِّرْكُ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ

تَعَالَى: ﴿**وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا**﴾

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلاثَةُ التِي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟

فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟

فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ وَكُلُّ مَنْ سِوَى اللهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: **بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟**

فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ، وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَهُمَا؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي**

خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾

وَالرَّبُ هُوَ الْمَعْبُودُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاء بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾**

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: «الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءَ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ»



وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا؛ مِثْلُ: الإِسْلامِ، وَالإِيمَانِ، وَالإِحْسَانِ، وَمِنْهُ: الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ، وَالاسْتِعَاذَةُ، وَالاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلَكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ

اللهُ بِهَا. كُلُّهَا للهِ تَعَالَى.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**﴾ فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ، وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهًا آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ**﴾

وَفِي الْحَدِيثِ: «**الدُّعَاءُ مخ الْعِبَادَةِ**»[١] وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾

وَدَلِيلُ الْخَوْفِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾

---

[١] رواه الترمذي (٣٣٧١) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ لَهِيعَةَ» ثم روى: حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ وقال «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»

وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾

وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ وقوله: ﴿**وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾

وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْخُشُوعِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ**﴾

وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي**﴾ الآية.

وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ**﴾ الآية.

وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ وَفِي الْحَدِيثِ: «وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللّٰهِ»

وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ**﴾ و﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ**﴾

وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ**

فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ الآية.

وَدَلِيلُ الذَّبْحِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَه وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾** وَمِنَ السُّنَّةِ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ» [٢]

ودليل النذر قوله تعالى: ﴿**يُوْفُوْنَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾**



مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ

وَهُوَ: الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ، وَهُوَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ: الإِسْلامُ، وَالإِيمَانُ،

---

[٢] رواه مسلم (٤٣ - ١٩٧٨)

وَالإِحْسَانُ. وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ.

المرتبة الأولى: الإسلام

فَأَرْكَانُ الإِسْلامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَن لا اله إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ.

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ اله إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَآئِمًا بِالْقِسْطِ لاَ اله إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾

وَمَعْنَاهَا: لا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إلا اللهُ، و(لا إله) نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، (إلا اللهُ) مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ.

وَتَفْسِيرُهَا: الَّذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَآء مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ***

وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾

وَدِلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللّٰهِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَآءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

وَمَعْنَى شَهَادَة أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللّٰهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ وأَلا يُعْبَدَ اللّٰهُ إِلا بِمَا شَرَعَ.

وَدَلِيلُ الصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾

ودَلِيلُ الصِّيَامِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

وَدَلِيلُ الْحَجِّ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾

الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ

وَهُوَ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلاهَا قَوْلُ لا اله إِلا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ.

وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ**﴾

ودليل القدر: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾

الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ

رُكْنٌ وَاحِدٌ ، وهو : «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ**﴾ وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ**﴾

وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جِبْرِيلَ الْمَشْهُورُ: عَنْ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ:«بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ فَقَالَ: «أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا اله إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» قَالَ: صَدَقْتَ. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ:

أَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ. قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: «مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا. قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ» قَالَ: فَمَضَى، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا، فَقَالَ: «يَا عُمَرُ أَتَدْرُونَ مَنِ السَّائِلِ؟» قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُم»

مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ

وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ. وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ -عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ-.

وَلَهُ مِنَ الِعُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلاثٌ وَعِشْرُونَ فِي النبوة.

نُبِّئَ بـ﴿اقْرَأْ﴾ وَأُرْسِلَ بـ ﴿الْمُدَّثِّرْ﴾

وَبَلَدُهُ مَكَّةُ.

بَعَثَهُ اللّٰهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَبالَدْعُوة إِلَى التَّوْحِيدِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلاَ تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ**﴾

وَمَعْنَى: ﴿**قُمْ فَأَنذِرْ**﴾ يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ.

﴿**وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ**﴾ أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ.

﴿**وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**﴾ أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ.

﴿**وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ**﴾ الرُّجْزَ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلُهَا.

أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ؛ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ.

وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ.

وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلاثَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا أُمِرَ بالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ.



وَالْهِجْرَةُ: الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلامِ.

وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بلد الإِسْلامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءتْ مَصِيرًا * إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَآء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللّهُ عَفُوًّا غَفُورًا**﴾

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ**﴾

قَالَ الْبُغَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «نزلت هَذِهِ الآيَةُ فِي المُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ ولَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ»

وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ ﷺ : **«لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»**[٣]



فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ؛ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، مِثلِ: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالأَذَانِ، وَالْجِهَادِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلامِ.

أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ.

وَتُوُفِّيَ ـ صَلواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ ـ وَدِينُهُ بَاقٍ.

وَهَذَا دِينُهُ، لا خَيْرَ إِلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلا شَرَّ إِلا حَذَّرَهَا مِنْهُ.

وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ: التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ.

---

[٣] رواه أحمد (١٦٩٠٦) وأبو داود (٢٤٧٩) وقال المحققون: « حسن لغيره ».

وَالشَّرُ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ: الشِّرْكُ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ.

بَعَثَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ؛ الْجِنِّ وَالإِنْسِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾.

وَكَمَّلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾

وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ ﷺ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾



وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُواْ يُبْعَثُونَ =وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾= وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ،

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾

وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾



وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾

وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾

وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهِا رَسُولًا مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالإِيمَانَ بِاللهِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: «**مَعْنَى الطَّاغُوتِ**: مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ»[٤]

وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ:

- إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ.
- وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ.
- وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ.
- وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ.
- وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ**

---

[٤] إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢/ ٩٢ ت مشهور).

الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

وَهَذَا هُوَ مَعْنَى لا اله إِلا اللهُ.

وَفِي الْحَدِيثِ: «**رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامِ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**»[٥]

وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

*** ***

[٥] رواه أحمد (٢٢٠١٦) والترمذي (٢٦١٦) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»

الشرح

المسائل الأربعة

بدأ المصنف رحمه الله بمقدمة. وهذه المقدمة ليست هي الأصول الثلاثة، بل هي أربع مسائل تمهيدية.



بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اعْلمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَع مَسَائِلَ:

المسألة الأُولَى: الْعِلْمُ: وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ ﷺ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بالأَدِلَّةِ.

المسألة الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ.

المسألة الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ.

المسألة الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

بسم الله الرحمن الرحيم:
﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾

قَالَ الشَّافِعِيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – : لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ.

وَقَالَ البُخَارِيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ـ : بَابُ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ اله إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾[٦] فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ.

---

[٦] محمد:١٩.



بدأ رسالته بـ «**بسم الله الرحمن الرحيم**» كعادة أهل العلم، تيمنا بذكر اسم الله، وتبركًا به، وطلبا لعونه وتوفيقه.

ثم قال «**اعْلمْ رَحِمَكَ اللهُ**» دعا للقارئ بالرحمة، وهذا من أدب خطابه، وحسن قصده «**أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَع مَسَائِلَ**» بيَّن أن تعلم هذه المسائل واجب، وذلك لكونها من الأصول العامة التي يحتاجها المسلم في كل حياته.

«**المسألة الأُولَى: الْعِلْمُ**» سيبين في هذه الفقرة معنى العلم. لن يعرف العلم تعريفا لغويا ولا تعريفا على طريقة الحد والرسم؛ وإنما سيُخبِرُ بأصل العلم النافع عند الله سبحانه وتعالى، فما هو هذا؟ قال: «**الْعِلْمُ: وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ ﷺ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بالأَدِلَّةِ**» هذه الثلاثة هي الأصول الثلاثة التي تأتي بعد قليل في الرسالة، ولعله قدم بهذه المقدمة لنعرف كيف ننتفع بما سنتعلم؟ ولماذا نحن نتعلمه ؟هل نتعلمه لنجادل فيه ؟هل نتعلمه ليقال عالم؟ هل نتعلمه لمجرد الاطلاع؟

فقال: « المسألة الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ » فبين لنا أن الانتفاع بهذا العلم، وذلك بأن نعمل به، فيكون له أثر في حياتنا، فنغير أفكارنا، وأخلاقنا، وعاداتنا، ومعاملاتنا بمقتضى هذا العلم.

ثم قال: «المسألة الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ» الإنسان إذا تعلم وعمل وأخلص لله سبحانه وتعالى فقد نجى، ولكن الله سبحانه وتعالى أمر المسلمين بما أمر به المرسلين كما قال رسول الله ﷺ: «وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ» [٧] فإذا خلصَ الإنسان نفسه من غضب الله ومن ناره ومِن عقابه؛ فهذا أمر حسن، ولكن الأولى أن يدعو غيره إلى الله وأن يقذ مَن استطاع من الضَّلَالِ فياخذ بأيديهم إلى الحق والهد، وأن ينصر دين الله سبحانه وتعالى.

فيعلم، ثم يعمل ثم يدعو.

قال الشيخ: «المسألة الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ» فما مِن إنسان عبَدَ اللهَ سبحانه وتعالى ودعا إلى الله إلا وأوذِي، وهذا الأذى

---

[٧] صحيح مسلم (٦٥-١٠١٥).

يتفاوت. فتجد أن الأنبياء أكثر من تعرض للأذى بسبب أنهم هم رؤوس هذه الدعوة، وهم موضع القدوة، فقد اوذوا كثيرا، وإذا اطلعت إلى مواضع ذكرِ قَصصهم مع أقوامهم؛ لوجدت مِن العِبَر الشيءَ الكثير.

المؤلف رتب المسائل على الترتيب الواقعي، فهذا ليس ترتيبا غير مقصود، فإنك لا يمكن أن تعمل حتى تعلم، فإذا عملتَ دونَ علمٍ فإنك ستعمل عملًا خاطئا، ستعمل عملا على غير هدى، على غير بينة؛ فلا يكون عملك صحيحا.

فكان العمل بعد العلم، وكانت الدعوة بعد العلم والعمل، لأنك إن دعوت بدون علم فدعوتُك باطلة، ستدعو حينها إلى ضلالة، وان دعوت غيركَ إلى الهُدى وأنتَ لم تهتد ولم تقتد بالنبي وبأعماله وا دعا إليه؛ فعند ذلك تكون قد ضيعت نفسك وما انتفعت من هذا العلم؛ فأنت أولى بالعمل بما تعلمت.

ثم بعد ذلك يأتي الصبر على الأذى؛ لأن الأذى لا يكون على مجرد التعلم، قد تتعلم فلا يؤذيك الناس لأنهم لا يهتمون تعلمت

أم لم تتعلم.

وإذا عبدت قد تؤذى، ولكنه أقل من الأذى الآخر، قد تلقى أذى من أهلك إذا كانوا يعارضون التزامَك، قد تلقى أذى من أصدقائك إذا لم يكونوا صالحين غلا يعجبهم أن تسير في الطريق الصحيح خلافا لهم. ولكن هذا الأذى سيبقى سائغا في الغالب.

ولكن إذا دعوت إلى الحق فسيكون لك خصوم. النبي ﷺ أخبرنا أن هذه الأمة ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة؛ فإذا كنت على الهدى وكنت من هذه الواحدة ودعوت إلى الحق؛ فهناك اثنان وسبعون فرقة كلهم خصوم لك، وبمقدار دعوتك ومقدار بيانك للحق فإن هؤلاء الخصوم ينالون منك.

ولأن الدعوة إلى الحق تحتاج إلى الرد على الباطل، فإن أهله سينصبون لك من ألوان العداوة ما لا تتصوره، قال أبو إسماعيل الهروي: عُرِضتُ على السيفِ خمس مرات، لا يقال لي: «ارجع عن مذهبك» لكن يُقال لي: «اسكت عمن خالفك» فأقول: «لا

أسكت» [٨] بل قد لا يتوقف الأمر على المخالفين، وإنما ستعاديك طائفة من الموافقين، ليظهروا بمظهر المنصفين، ومنهم من يريد التقرب من المخالفين على حسابك، ومنهم من لا يكون موافقا لك عن علم، وإنما عن جهل، فلما رأى الفرقان بين الحق والباطل؛ عاداك رضى منه بالضبابية التي هو عليها، ومن الموافقين من يتسم بالغلو، فلا يرضيه إلا أن توافقه على غلوه.

ولهذا تجد من يدعو إلى الحق؛ لكنه لا يريد أن يخاصم أحدا؛ فيقول دعوني أدعو إلى المسائل التي اجتمع عليها الناس، كالصلاة، ذم الكذب، الحض على السنن، النهي عن الخمر والزنى، هذه أمور جيدة، وهذا بابٌ لا شك أنه نافع، ولكن هؤلاء أيضا تجد لهم خصوما؛ فكثير من الناس، خاصة أهل البدع، فإنهم لا يحبون من لا يقبل ببدعهم، فإن أظهر نوعا من الموافقة لهم لكي يستقطبهم؛ فعند ذلك أهل الحق سيقولون عنه مميع، وإن لم يُظهر شيئا من الموافقة لأهل البدع، فأهل البدع لن يرضوا به. والمقصود: إن

---

[٨] المنثور من الحكايات والسؤالات لابن طاهر المقدسي (ص٣٥).

الإنسان سواء حاول أن يرضي الناس أو حاول أن يرضي الله سبحانه وتعالى فسيلقى أذى، فالأصل أن يحاول أن يرضي الله سبحانه وتعالى؛ وما عليه من الناس، الذي ينصرف يأتي بدلا منه عشرة. أهل الباطل إذا دعوا إلى باطلهم سيسمع لهم ناس، وأهل الحق إذا دعوا إلى حقهم سيسمع لهم ناس؛ فلا يهمك من الذي يَسمع ومن الذي لا يَسمع؛ إنما يهمك أن الذي يسمع ينتفع بالحق، فعندما تقف أمام الله سبحانه وتعالى ويقف هو ويسألُه اللهُ سبحانه وتعالى، فيقول إنه تعلم منك، فيسألك الله سبحانه وتعالى فتقول له: يا رب، ما وجدته في كتابك؛ وما وجدته في سنة نبيك، وما وجدت عليه سلف هذه الأمة الذين ذكرهم رسولك الله ﷺ أنهم خير الناس؛ فهذا الذي دعوت إليه، هذا الذي ناضلت عنه، وهذا الذي كنت أعتقد به، وكنت أعمل بمقتضاه، فهذا يا ربي الذي عندي.

أما أهل البدع فيقولون: يا رب إن هذه المسألة وافقت عقولي، وهذا وجدته في الكتاب الفلاني، وهذا ما رأيت أنه يتماشى مع الواقع، وهذا قلته بسبب ضغوط الناس...الخ فهذا ليس على خير.

قال الشيخ: «وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَالْعَصْرِ﴾» أقسم الله سبحانه وتعالى بالعصر «﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾» كل البشر في خسر، أي خاسرون، ما عدا ما عدا طائفة فائزة «﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾» فهذه صفات أربع للفائزين، وهي المسائل الأربعة «﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾» الإيمان قول وعمل، فالقول مبني على العلم، فنعلم، ونُقِرُّ بما علمنا، والعمل مبني على العلم؛ «﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾» فعملوا بما «﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾» وهذا التوصي هو الدعوة «﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾» لأنهم سيحتاجون إليه. فيصبرون على الطاعة، ويصبرون على البعد عن الشهوات، ويصبرون على الأذى.

ثم قال: «قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ»[٩]

---

[٩] قال ابن تيمية «رُوِيَ عَنْ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: لَوْ فَكَّرَ النَّاسُ كُلُّهُمْ فِي سُورَةِ ﴿وَالْعَصْرِ﴾ لَكَفَتْهُمْ». مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٥٢)

ماذا ؟ لأن فيها قواعد الدين الأساسية

قال: «وَقَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى» في صحيحه «بَابُ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ اله إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ» [١٠] فاستدل على أن العلم لابد أن يَسبق القول والعمل. فأتى المؤلف بشاهد من فهم السلف على المسألة الأولى والثانية.

ووجه الدلالة في الآية أن الله قدم الأمر بالعلم، ثم ذكَرَ الاستغفار بعده، والاستغفار عمل.

المسائل الثلاثة



---

[١٠] عبارة البخاري: «بَابٌ: الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللهُ﴾ فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ». صحيح البخاري (١/ ٢٤ ط السلطانية).

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، تَعَلُّمُ هَذِهِ المَسَائِلِ الثَّلاثِ ، والْعَمَلُ بِهِنَّ:

الأُولَى:

أَنَّ اللّهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا * فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾



يقول «اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ» «اعلم»: فعل أمر يراد منه الحض على العلم. « رَحِمَكَ اللهُ » :دعاء للقارئ ليعرف أن الشيخ يريد به الرحمة ويريد به الخير. فهو يكتب هذا العلم راجيا لقارئه الخير.

قال: « اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، تَعَلُّمُ هَذِهِ المَسَائِلِ الثَّلاثِ ، والْعَمَلُ بِهِنَّ » قد بينا أن العلم قبل القوول والعمل؛ فالآن يتطرق للمسائل التي علينا أن نتعلمها ونعمل بها.

« **الأُولَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا**» فالله تعالى هو الخالق لنا، أوجدنا من عدم، وهذا أمر أقر به حتى كفار قريش، قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ وذلك لوضوح أدلته. وقد أنزل الله الحجة على من أنكر خالقيته فقال: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَا يُوقِنُونَ * أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾

« **وَرَزَقَنَا** » منذ أن كنا أجنة في بطون أمهاتنا، فإنه يرزقنا الغذاء ويرزقنا الصحة، ويرزقنا العقل « **وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا** » فكما لم يتركنا هملاورقنا في أجسادنا، فإنه لم يتركنا هملًا في ما يحيي نفوسنا « **بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا** » يخبرنا برسالة الله تعالى إلينا، عرفنا بربنا، وهدانا السبيل، أنزل لنا شرعا نسير وفقه ؛ لكي تَصلُح أمورَ دنيانا وآخرَتنا « **فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ** » ذلك المَقصِد الأخير، إما جنة أو نار؛ إن أطعنا الرسول دخلنا الجنة، ومن عصاه فكفر؛ دخل النار -نعوذ بالله من النار-، قال: «**وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا * فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾**»

علمتنا هذه الآيات كيف يكون التعامل مع هذا الرسول؟ وما النتيجة؟ ننظر إلى حال فرعون : «﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾» إذن هذا حال من يعصي الرسول بالكفر به. والعكس بالعكي، فمن يؤمن به ينجو.



الثَّانِيَةُ:

أَنَّ اللهَ لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ، لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾



قال «**أَنَّ اللهَ لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ**» فالشرك هو الذنب الذي لا يغفره الله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ فعلِمنا أن الشركَ هو أعظمُ

أنواع الذنوب، أيُّ نوع من أنواع الشرك كان.

قال « **لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ**» فإذن الله سبحانه وتعالى الذي خلقنا ورزقنا وأرسل إلينا الرسل وحذرنا من النار ورغَّبَنا بالجنة؛ لا يرضى أن يُشرَك مَعَهُ أحدٌ، أيًا كان هذا الأحد، سواءٌ ملكٌ من المَلائكةِ المُقربين، لو كان جبريلَ أو ميكائيلَ -وهؤلاء من أعظم الملائكة- «**وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ**» فلو أن أحدا عبدَ نبيا من الأنبياء لكان مشركًا بالله سبحانه وتعالى، لا يُقبل منه عمل صالح، لا يقبل منه صرفًا ولا عَدلًا، ومصيره جهنم، ودليل ذلك أنك ترى أن قومًا عبدوا عيسى ﷺ؛ فأخبر الله سبحانه وتعالى بما أخبَرَ فيهم من أنهم مشركون، فقال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ فلو عبدَ الإنسانُ محمدًا ﷺ لكان مشركا بالله سبحانه وتعالى فمحمدٌ ﷺ هو الذي علم الناس التوحيد، فلا يرضى أن يُعبدَ من دونِ اللهِ، وكان من دعائه: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ. اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» [١١] والله سبحانه وتعالى لا يرضى

---

[١١] موطأ مالك - رواية يحي (١/ ١٧٢ ت عبد الباقي) مسند أحمد (٧٣٥٨) قال المحققون: «إسناده قوي».

أن يُعبد معه غيره « **وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾**» ؛ إذن علينا أن نفردَ اللهَ سبحانه وتعالى بالعبادة



الثَّالِثَةُ:

أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ، وَوَحَّدَ اللهَ لا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾



معنى « **حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** » جعل حدًا بينه وبين الله ورسوله.

فهو لا يؤمن بالله ولا الرسول، ولا يطيعهما. فالمؤمن لا يجوز له أن يوالي ذلك المُحادّ، فإذا والاه لا يكون مؤمنا.

«وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾» الله يخبرنا خبرا وجب تصديقه، وهو أنه لا يمكن أن نجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله؛ فإذا وجدنا أحدا يقول إنه يؤمن بالله واليوم الآخر، ووجدناه يُواد الذين حادوا الله ورسوله؛ فعندَ ذلكَ قولهم أنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر كذب، لأن الله يقول ﴿لا تجدُ﴾ فلا يمكن أن تقول: «لا يا رب أنا وجدت» بينما الله يخبرك أنك لن تجد مَن هذه حاله.

فهذا أمر عظيم، مَوَدةُ الذين حادوا الله ورسوله أمرها عظيم، ولو كانوا أقرب قريب، قال الله: ﴿وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ فلا يلقي إليهم بالمودة مع كفرهم، قال ﴿أُوْلَئِكَ﴾ يعني الذين آمنوا بالله واليوم الآخر ولم يوادوا الكافرين ﴿أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا

عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

هنا قد تُشكِل مسألة، وهي أنَّ إنسانا قد يكونُ والده مشركا، فهل الحب الفطري له شرك؟

الرسول ﷺ كان عمه أبو طالب مشركا، والرسول ﷺ كان يحبه، فهل هذا يتعارض مع هذه الآية وهذا الأصل؟

بدايةً ما الدليل على أنه كان يحبه؟ قال الله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ قال المفسرون «نَزَلَتْ فِي أَبِي طَالِبٍ»

فلماذا لا يوجد تعارض بين هذه المحبة لأبي طالب مع هذه الآية؟ ذلك لأن هذه المحبة هي محبة طبعية فطرية، وليست حبا له لكونه مشركًا. فهناك فرقٌ بين أن يقولَ الرجلُ: «أنا أحب النصارى» وبين أن يقول: «أنا أحب أهلي» وإن كان أهله نصارى. فبين الجملتين فرق؛

الأولى: فيها ربط المحبة بالدين. فكانت كفرا.

الثانية : ربط للمحبةِ بالنَّسَبِ، فأحبهم للنسب لا للدين.

قال الشافعي: «فَمَيَّزَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَيْنَهُمْ بِالدِّينِ، وَلَمْ يَقْطَعْ الْأَنْسَابَ بَيْنُهُمْ فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْأَنْسَابَ لَيْسَتْ مِنْ الدِّينِ فِي شَيْءٍ» [١٢]

وقال نجم الدين الطوفي الحنبلي: «أن مودة العصاة حرام، ثم إن كانت مودة فاسق لفسقه فهي فسق أو كافر لكفره فهي كفر، أما ودهما لسبب آخر دنيوي أو صفة أو خلق حسن كعلم يكتسب منهما، أو سخاء أو شجاعة فيهما فيرجى عفو الله-عز وجل-عن ذلك، وأن لا يؤاخذ» [١٣]

من ناحية ثانية: المودة تقتضي المناصرة.

قال الزجاج «فأعلم اللَّه - عزَّ وجلَّ - أن إيمان المؤمِنِ يَفْسدُ بِمَوَدةِ الكفار بالمعاونة على المؤمنين» [١٤]

---

[١٢] الأم للإمام الشافعي (٤/ ١٣١ ط الفكر).

[١٣] الإشارات الإلهية إلي المباحث الأصولية (ص٦٢٩).

[١٤] معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ١٤١).



اِعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ، أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ، مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ. وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ وَمَعْنَى يَعْبُدُونِ : يُوَحِّدُونِ.

وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ، وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْه الشِّركُ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاعْبُدُواْ اللهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا﴾



هذه بداية ثلاثة الأصول، وما قبلا مقدمات لها

قال: «اِعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ» يدعو لك بالرشاد، أن يرشدك الله لطاعته، وهذه من الدعوات الطيباتـ نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبلها.

قال «أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ» أي يقول:

إن الحنيفية التي هي ملة إبراهيم ما هي ؟ هي أن تعبد الله وحده.

«مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ » أي: لا تدين إلا لله سبحانه وتعالى، ولا تتعبد إلا لله سبحانه وتعالى، فيكون دينك خالصا لله سبحانه وتعال، وأن لا تشرك مع الله أحدًا؛ فالدين لا يكون خالصا إلا مع نفي الشرك، أي نوع من أنواع الشرك، سواء كان شركا أكبر أو شركا اصغر، فالإنسان يُخلصُ دينَه لله سبحانه وتعالى.

قال: «وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ» فإن جميع الأنبياء أتوا بهذا، ودعوة جميع الأنبياء تشمل جميع الناس، فالله أمر جميع الناس بذلك، «وَخَلَقَهُمْ لَهَا» لأنه خلقهم للعبادة، والعبادة تعني التوحيد، لأن من أشرك لا تكون عبادته مقبولة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي أن من تلبس بالشرك؛ بطل عمله.

بل لو عبد الله، ولكنه أدخل في عبادته شركا أصغر، كالرياء، وهو أن يطلب أن يراه الناس، فيقول الله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ

مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»[١٥] فالله غني عن الشرك، فسيترك هذا العمل لغيره، ولا يقبل منه شيئًا، فكان الأصل في العبادة التوحيد؛ لا يمكن أن يعبد الإنسان عبادة صحيحة إلا مع توحيد صحيح.

قال « وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ وَمَعْنَى يَعْبُدُونِ : يُوَحِّدُونِ» فخلق الجن والإنس لغاية العبادة لله سبحانه وتعالى؛ فهذا هو المطلوب منهم.

قال «**وَمَعْنَى يَعْبُدُونِ: يُوَحِّدُونِ**» هذا جاء عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بيَّنَّا سبب ذلك، أن من عبد الله وأشرك فعبادته لا تكون لله سبحانه وتعالى؛ أما من أخلص العبادة لله سبحانه وتعالى عندها ستكون عبادته صحيحة، فلا يمكن أن تكون عبادة بدون توحيد قال ومعنى يعبدون يوحدون.

قال «**وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ**» التوحيد أعظم ما أمر الله

---

[١٥] رواه مسلم (٤٦ - ٢٩٨٥).

به لأنه لا يُغفر لمن يَخِلُّ به؛ بينما قد يغفر للعاصي، وقد يغفر للمقصر، أما في التوحيد فلا يوجد مغفرة، إذن أمرُ التوحيد أعظم الأمور، قال: «وَهُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ» أي جعل العبادة له وحده.

«وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْه الشِّركُ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ» وذلك لأنه لا يغفر، بل إنه يحبط الأعمال الصالحة. «وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا﴾» والواقع أن هذه الآية ليست دليلا على المطلوب، فليس فيها إلماح لمزية التوحيد وخطورة الشرك، وإنما أمر بالتوحيد ونهي عن الشرك، وأقوى في الدلالة على المطلوب هو قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ ولو أن هذه الآية فيها ذكر الشرك فقط، إلا أن مفهومها يقتضي التوحيد، أو قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ﴾ فأداة الحصر ﴿إنما﴾ دلت على التعظيم.

الأصول الثلاثة

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلاثَةُ التِي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟

فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ.



هذه هي ثلاثة الأصول، ولو لاحظنا الاسئلةَ التي ستُسأل للإنسان في القبر، فهي هذه الثلاثة؛ من ربك؟ ما دينك؟ من هذا الرجل الذي أرسل فيكم؟ فالواجب على كل مسلم معرفة هذه الثلاثة والعمل بمقتضاها، فإن لم يفعل فما عرف الدين.

الأصل الأول: أن تعرف ربك، والثاني: أن تعرف دينك، وهذا الدين لا يمكن أن تعرفه إلا من خلال محمد ﷺ. أي أنك قد تعرف ربك ولكن لا تعرف كيف تعبده؛ فتعبده لا كما يريد، فلا

بد من أن تعرف الدين الصحيح الذي تتقرب به إلى الله سبحانه وتعالى، وأن تعرف النبي ﷺ لأنه هو الذي يدلك على الدين الصحيح.



فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟

فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وَكُلُّ مَنْ سِوَى اللهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ.



« **فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟**» فبماذا أجيب؟ « **فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي** » هو لا يقول لك أن هذه هي الإجابة الذي لا يجوز أن تجيب بغيرها ؛ لكن هو أراد من خلال هذا السؤال أن يوصل لنا معنى الرب. وإلا فأحسن جواب هو كلام الله سبحانه وتعالى نقول: ﴿ **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي**

السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ وقوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ هذا خير الكلام، وهذا ما نجيب به.

لكن الشيخ يريد أن يوصل لمعنى الربوبية، فقال: « **فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ**» التربية هي التنشئة، ونحن قد نشأنا بنعمة الله سبحانه وتعالى، فهو الذي خلقنا ورزقنا، ولولا أن رزقَنا اللهُ سبحانه وتعالى وأنعم علينا بنعمه -سبحانه وتعالى وله الحمد- لما قام العالَم كلُّه.

قال: « **وَهُوَ مَعْبُودِي**» المعبود: هو الذي يُعبد، معبودي، أي: الذي أعبده. « **لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ** » وذلك مقتضى كوني مسلما.

هنا أثبت أن الله ربٌّ للعالمينقال وكل من سوى الله عالمعندنا

عوالم؛ عالم الحيوان؛ عالم الجن؛ عالم الإنس؛ عالم كذا ، فهذه العوالم كلها ربها من؟؟ الله.

قال: « **وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وَكُلُّ مَنْ سِوَى اللهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ** » العالمين، جمع عالَم، وكل جنس من المَخلوقات: عالَم. والله رب لكل هذه العوالِم، وأنا فرد من أفراد تلك العوالم، فربي هو الله الذي كغيري من العالمين.



فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟

فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ، وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَهُمَا؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ

بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾

وَالرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاء بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى : الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءَ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ.



قال: « فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟» أي: كيف عرفه؟ وما دليلك إليه؟

الإنسان بمجرد أن يتأمل في هذا الكون سيعلم أن لهذا الكون خالقًا، وأن هذا الخالقَ حكيمٌ، فمن حِكمته جعل هذا الكون يسير وفق هذا النظام الذي لو اختلَّ؛ ما أمكن أن تعيش؛ فلو اقتربت

الأرض من الشمس أكثر فستتبخر المياه، وتيبس الأشجار، وتفسد الحياة، ولو ابتعدت أكثر فإننا سنجمد، فالله خلَقَ هذا الخلق وفق نظام دقيق. فلو نظرنا إلى دقة خلق الله سبحانه وتعالى في كل شيء لأدركنا حكمته، لو نظرنا إلى جلدنا، إن جُرِحَ الإنسانُ فإن جُرحَه سيلتئم، فلو كانت الجروح لا تلتئم فمن الذي يستطيع أن يصلحها؟ سيكون الجرح الواحد كفيلا بقتل الإنسان. لما كان الدماغ حساسا لا يحتمل الصدمات جعل له جمجمة تحميه، وجعل للقلب قفصا من العظام يقيه الصدمات، ومرر النخاع الشوكي داخل السلسلة من العظام (العمود الفقري)، جعل الرئة أداة لخلط الدم بالأكسجين، ليذهب من الرئة إلى القلب، ومن القلب إلى أصغر خلية من خلايا الجسم.

إذا نظرت إلى دقة خلق الله سبحانه وتعالى ستعلم أن هذا الخلق لم يكن إلا بِخَالق، ونعلم أن هذا الخالق الحكيم لن يخلُقَ شيئا عبثا، بالتالي هو خلقنا لحِكمة، فما هذه الحكمة؟ هل سيتركنا دون أن يخبرنا بها؟ الحكمة تقتضي أن يخبرنا لكيلا نتوه ونعيش عبثًا.

فإذا أخبرنا فمن أين سنأخذ هذا الخبر؟ نسبر حال من قالوا أن الله أرسلهم، فنجد محمدا ﷺ جاء بالخبر الصريح البيِّن من عند الله سبحانه وتعالى. وهو الوحيد الذي حُفظت رسالته بأدق الوسائل.

نرجع لأصل المسألة: النظر في المخلوقات يدل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فهذا ما يقتضيه قول الشيخ «**فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَهُمَا**» فلو نظرتَ في دقة خلقهم، والحِكَم في كل ذلك لعرفت الله، فهذه كلها آيات تدلك على عظمة الله وعلى عظمة خلقه وعلى حكمته، وعلى قدرته. ثم قال الشيخ مدللا على صحة الاستدلال بهذه الآيات على خالقها: « **وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾**» وجه الدلالة في الآية أن معنى «آية» علامة، فهذه المخلوقات علامات تدلنا على الله.

قوله: « **لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ**» عبر عن العبادة بالسجود؛ فإذا عبر عن العبادة بفعل من الأفعال علِمنا أن هذا

الفعل مَن فَعَله لغير الله كفَر، ولهذا أهلُ العلم قالوا إن الذي يسجد لغير الله يكفر في شريعتنا، بينما في شريعة من كان قبلنا إذا سجد سجود تحية فإنه لا يكفر، لأن الله لم يكن جعل السجود عبادة خالصة، أما في شريعتنا من سجد لغير الله يكفر لأن الله جعل السجود عبادة خالصة، « ﴿وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾» فإن كنت تعبد الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ فإنك ستسجد لله ولا تسجد لغيره.

قال: «وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ» فمن الله؟ « الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ» فمن نفى استواء الله على عرشه؛ ما آمن بالله، فقد عرفنا بنفسه بأنه هو المستوي على العرش « يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ » أي هو الذي جعل الليل يغطي النهار، وهذه من الأمور التي اكتُشِفت حديثًا، أن النهار -الذي هو انتشار نور الشمس- في الأرض يحيط به الليل -وهو الظلام- إحاطة كاملة «يَطْلُبُهُ حَثِيثًا » أي يتعاقبات وكأن أحدهما يلاحق الآخر «وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ » فما كان منها من جريان ونور ومنافع، كلها بأمره «أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ

اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾»

«وَالرَّبُ هُوَ الْمَعْبُودُ» أي هذا الرب هو المستحق للعبادة «وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ » وجه الشاهد أنه أمرنا بعبادة الرب «الَّذِي خَلَقَكُمْ وَ» خلق «الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ» إذا عبدتموه « تَتَّقُونَ »وذلك الرب هو« الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا» أي: مهدها وسهلها « وَالسَّمَآء بِنَآءً »أي: سقفا « وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَادًا» شركاء « وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءَ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ»

وسيتكلم الآن الشيخ عم أنواع العبادة لنحذر من صرفها لغير الله.

وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا؛ مِثْلُ: الإِسْلامِ، وَالإِيمَانِ، وَالإِحْسَانِ، وَمِنْهُ: الدُّعَاءُ، وَالخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ،

وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ، وَالاسْتِعَاذَةُ، وَالاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلَكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللّٰهُ بِهَا. كُلُّهَا للّٰهِ تَعَالَى.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللّٰهِ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ، وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾

وَفِي الْحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ مخ الْعِبَادَةِ» وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾



والعبادة هي كل ما أمر الله أن يُتقربَ به إليه. ولها أنواع ثلاثة؛ قولية، وقلبية، وعملية. والقلبية نوعان؛ عقائد، وأعمال قلبية.

وكل ما أمر الله أن لا يُفعل إلا له؛ كان من فَعَلَه لغيره مشركًا.

وكل من أدى شعيرة دينية يتوجه بها إلى غير الله؛ كان مشركا.

فبعد معرفة هذه الضوابط سننظر إلى عدد من العبادات التي ذكرها الشيخ، مع أدلتها بعد قليل.

قال: «**وَالدَّلِيلُ**» على ما ذكرنا من المنع من صرف العبادة لغير الله، وكفر من فعل ذلك « **قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾** * وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا * قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ وجه الشاهد أنه جاء المنع من دعاء غير الله، ثم سمى دعاء غير الله شركا. فكان من وجَّه عبادة سواء كانت الدعاء أو غير الدعاء لغير الله كان مشركا.

«**وَفِي الْحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ مخ الْعِبَادَةِ »**» وهذا الحديث بهذا اللفظ رواه الترمذي وقال: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ لَهِيعَةَ» وابن لهيعة ضعيف، فأخطأ في لفظه، ثم روى الترمذي اللفظ الصحيح من حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ

دَاخِرِينَ﴾ وقال الترمذي «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ» قال الشيخ: « وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾» ووجه الشاهد أن الله أمر بدعائه، ثم سمى الدعاء عبادة بقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ﴾ ولم يقل هنا «عن دعائي»

وَدَلِيلُ الْخَوْفِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾

وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾

وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْخُشُوعِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾

وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ الآية.

وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ الآية.

وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وَفِي الْحَدِيثِ: «وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللّٰهِ»

وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾

وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ الآية.

وَدَلِيلُ الذَّبْحِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَه وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ وَمِنَ السُّنَّةِ: «لعَنَ اللّٰهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللّٰهِ»

ودليل النذر قوله تعالى: ﴿يُوْفُوْنَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾



الآن يستدل الشيخ على كل عبادة نص عليها بدليل على كونها عبادة. ومن الملاحظ أنه ذكر أمورا تكون من جهة عبادة، ومن جهة عادة، وسأحاول ذكر الفرق بين ذلك.

قال: « **وَدَلِيلُ الْخَوْفِ**» الخوف هو قلق في النفس لتوقُّعِ ضرر «**قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾**» وجه الدلالة: أنه أمر بأن نخافه. والخوف من الله يكون من غضبه وعقابه.

وأما مخافة غير الله فعلى أنواع ثلاثة: جائزة، ومحرمة، وشركية.

- فالجائز: هي ما كان مِن ضرر محتمَل تقتضيه العادة، كالخوف من النار، والمرض، وما شابه ذلك. كما قال الله

تعالى عن قول زكريا: ﴿ **وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوالِيَ مِنْ وَرائِي**﴾ وقوله عن موسى: ﴿ **فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ**﴾ وعن إبراهيم ﴿**فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً**﴾

- والمحرم: ما كان من أمر غيبي لا تقتضيه العادة، كالتطير، وهو الخوف من ضرر غيبي سيحدث لمن رأء بوما أو غرابا، أو أن الولي يغضب عليه فيسخطه.
- والشركي: ما كان فيه الخوف من الخلق مثل أو أكثر من الخوف من الله، قال تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ**﴾ ففتنة الناس مؤذية مؤلمة وقد يخافها الإنسان ولكن لا تصل إلى مستوى الخوف من الله، أو يقدمها على مخافة الله عند التعارض.
- وكل خوف أبعد عن طاعة أو أوقَعَ بمعصية فهو من الخوف المنهي عنه، وهذا يتردد بين المحرم والشركي.

«**وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ**» الرجاء هو ظن وقوع الخير «**قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ**

أَحَدًا﴾»

والرجاء منه ما هو مشروع، ومنه ما هو غير مشروع.

- فأما المشروع فهو نوعان
  - رجاء الخير من الله.
  - ورجاء الخير من الخلق تبعًا لرجاءه من الله، بالعلم بأنه هو الذي ييسر الأمر.
- وأما غير المشروع، فهو مذموم، وشركي، وكفري.
  - فأما المذموم، فهو رجاء الخير مع عدم اتخاذ أسبابه المقدورِ عليها.
  - وأما الشركي، فهو رجاء حصول الخير مع اعتقاد حصوله دون تيسير من الله.
  - وأما الكفري، فهو رجاء نجاة أهل الكفر في الآخرة، فهذا رد للكتاب والسنة.

« **وَدَلِيلُ التَّوَكُلِ**» التوكل هو الاعتماد على الغير، وتفويض الأمر إليه «**قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ وقوله:**

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾» وجه الشاهد: أمر الله بالتوكل عليه، وربط التوكل بالإيمان.

والتوكل ينقسم إلى: شرعي، وبدعي، وشركي

- فأما الشرعي، فهو التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب.
- وأما البدعي، فهو التوكل على الله دون أخذ بالأسباب.
- وأما الشركي، فهو التوكل على غير الله، مع اعتقاد أن ذلك المخلوق مستقل بفعله عن الله.

«وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ» الرغبة هي العمل المرافق للرجاء «وَالرَّهْبَةِ» خوف مستمر «وَالْخُشُوعِ» هو الذل والخضوع «قَوْلُهُ تعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾» وجه الشاهد: ثناء الله على من هذه صفته.

«وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ» الخشية: هي خوف من أمر مستقبلي، ولعلها مرتبطة بمواطن الهيبة أكثر من ارتباطها بالضرر، قال تعالى: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ «قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ الآية»

« **وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ**» الإنابة: الرجوع إلى الطاعة، ولعل الفرق بينها وبين التوبة: أن التوبة تكون من الذنب، والإنابة تشمل الذنب والغفلة «**قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ الآية**»

«**وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ**» الاستعانة طلب المدد من الغير «**قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾**» وجه الشاهد، تقديم المفعول «إياك» على الفعل «نستعين» يدل على اختصاصه بالاستعانة. «**وَفِي الْحَدِيثِ: «وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ»**»

«**وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ**» الاستعاذة: هي طلب الحماية من خطر متوقع «**قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾**»

«**وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ**»الاستغاثة: هي طلب النجدة من خطر واقع «**قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ الآية**»

والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة على ثلاثة أنواع

- شرعية، وهي ضربان:

- ○ تُطلب من الله تعالى.
- ○ يُطلب من المخلوق ما كان من خصائص المخلوق، مع اعتقاد أنه يفعل بإذن الله.

- محرمة، وهي ما كان فيها إعانة على باطل، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ أو إعاذة من حق كمن يحمي المجرمين، قال رسول الله ﷺ: «لعن الله من آوى محدثا»

[١٦]

- شركية، وهي ضربان:
  - ○ يُطلب من المخلوق ما كان من خصائص المخلوق، مع عدم اعتقاد أنه يفعل بإذن الله.
  - ○ يُطلب من المخلوق ما حقه أن يُطلب من الله. كأن يطلب من مخلوق غائب أن ينقذه في الشدة.

« **وَدَلِيلُ الذَّبْحِ**» وهو التقرُّب بإراقة دم بهيمة «**قَوْلُهُ تَعَالَى**: ﴿**قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا**

[١٦] رواه مسلم (٤٣ - ١٩٧٨) ونحوه في البخاري.

كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَه وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾» النُّسك هو الذَّبح « **وَمِنَ السُنَّةِ: «لعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ»**»

والذبح على ثلاثة أنواع

- شرعي، وهو ما كان بقصد التقرب إلى الله، أو بقصد الأكل، وذُبح على اسم الله.
- محرم، وهو ما كان بقصد التفاخر، وما لم يذكر عليه اسم الله.
- شركي، وهو ما أريد به التقرب إلى غير الله بإراقة الدم. ويخرج من هذا ما ذُبح للضيف، لأنه يكون للأكل.

«**ودليل النذر**» وهو إلزام النفس بفعل عبادة غير واجبة « **قوله تعالى: ﴿يُوْفُوْنَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾**»



[الأصل الثاني:] مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ

وَهُوَ: الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ، وَهُوَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ: الإِسْلامُ، وَالإِيمَانُ، وَالإِحْسَانُ. وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ.



قال « **مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ** » فالدين يعرف بدليله، وليس بآراء النلس وأهوائهم وبدعهم.

«**وَهُوَ: الاسْتِسْلامُ**» هناك خطأ منتشر عند كثير من الناس عندما يقولون الإسلام هو السلام ؛ أو كلمة الإسلام مشتقة من السلام، والصواب أن اشتقاقه: أَسْلَمَ يُسْلِمُ إسْلَامًا؛وهو من معاني الاستسلام، لأننا نُسلِمُ وجهَنا لله سبحانه وتعالى، فهذا هو الإسلام «**الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ**» فنُسلِمُ لَه وحده، كما قال الله ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ «**وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ**» فنحن في الإسلام منقادون لله، لا نحيد عن السبيل الذي ارتضاه، وهذا الانقياد يكون بطاعته «**وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ**»

فلا يكفي مجرد عدم الشرك، بل لابد من مباينة الشرك وأهله بالبراءة منهم.

«**وَهُوَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ: الإِسْلامُ، وَالإِيمَانُ، وَالإِحْسَانُ. وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ**» سنتكلم عن هذه المراتب بالتفصيل بإذن الله، لكن لابد من أن نعرف أن هذه المراتب بعضها أعلى من بعض.

فالإسلام: هي مرتبة تشمل جميع أهل الملة، صالحهم وعاصيهم، وسنيهم، ومبتدعهم.

والإيمان: هي درجة الصالحين من هذه الأمة، وهم الذين يفعلون المأمورات، وتركون المنهيات.

والإحسان: وهي درجة العباد الذين أطاعوا الله على أحسن وجه من وجوه العبادة.



المرتبة الأولى: الإسلام

فَأَرْكَانُ الإِسْلامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَن لا اله إِلا اللّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللّهِ، وَإِقَامُ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللّهِ الْحَرَامِ.

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ اله إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَآئِمًا بِالْقِسْطِ لاَ اله إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

وَمَعْنَاهَا: لا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلا اللّهُ، و(لا إله) نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللّهِ، (إِلا اللّهُ) مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ للّهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ.

وَتَفْسِيرُهَا: الَّذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَآء مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾

وَدِليلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

وَمَعْنَى شَهَادَة أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إلا بِمَا شَرَعَ.



« المرتبة الأولى: الإسلام » وهي التي تشكل كل مسلم صالح أو عاص؛ فهذه التي تجمع جميع من انتمى إلى هذا الدين، أما من خرج من هذه المرتبة؛ فقد خرج من الدين. أما المراتب الأخرى، فهي مراتب أعلى وذكر أركانه فقال: « فَأَرْكَانُ الإِسْلامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَن لا اله إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ» هذه الأركان الخمسة تنقسم إلى قسمين: قسم مَن تَركَه كان كافرًا، وقسمٌ مَن تركه كان عاصيًا؛ فأما الذي من تركه كان كافرا ركنان؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن

محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، فهذه من تركها خرجَ من الإسلام. وأما من ترك باقي الأركان التي هي الزكاة والصوم والحج؛ وقع في معصية، وكان من عُصاة الموحدين، ومن الفاسقين، ولا يخرُج من الإسلام، ولكن يقع في الإثم العظيم.

« فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ اله إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ» يعني والملائكة كذلك يشهدون «وَأُوْلُوا الْعِلْمِ» أيضا يشهدون «قَآئِمًا بِالْقِسْطِ لاَ اله إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾» فهذا دليل من أدلة الشهادة. ثم يذكر لنا معنى الشهادة « وَمَعْنَاهَا: لا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إلا اللّٰهُ » من أين جاء هذا المعنى؟ كلمة إله أي «المألوه» أي: «المعبود» فلو فسرناها نقول «لا معبود إلا الله» لكن لا بد هنا من أن نُقَدِّرَ كلمة؛ فهل نقول «لا معبود (موجود) إلا الله»؟ للأسف أكثر الذين يُعربون هذه الحملة يقولون تقدير هذه الجملة «لا معبود موجودٌ إلا الله» وهذا غلط، أما الصحيح «لا معبودَ بِحَقٍّ إلا الله» لأن هناك من يعبد الأوثان، فهناك معبود موجود سوى الله؛ لكنه لا يُعَبدُ بحق، فهذا معبودٌ باطل، لهذا عندما نقول «لا إله إلا الله» فمعنى هذه العبارة «لا معبود بحقٍّ إلا الله»

« و(لا إله) نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، (إلا اللهُ) مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ » كلمة التوحيد من جزءين «لا إله» تنفي جميع المعبودات، والجزء الثاني «إلا الله» استثناء لله تعالى مِن النفي، فكانت العبارة بجزءيها تنفي كل إله إلا الله. لو قلنا «لا إله» وسكتنا سننفي المعبود، وهذا إلحاد؛ فالجزءان مرتبطان متكاملان، فلابد من الإتيان بالاستثناء ليكتمل المراد «لا إله إلا الله» فيكون النفي فيها ينفي الآلهة الباطلة. والتعبير بهذه الطريقة التي هي تقديم النفي ثم الاستثناء؛ هي أبلغ أسلوب عربي للتعبير عن نفي ورَد جميع المعبودات غير الله؛ فكانت هذه هي الأكمل.

قال: « لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ» وهذا معناه أن الله لكونه الخالق الوحيد، والمالك الوحيد، والملك الوحيد؛ فلا يجوز صرف العبادة إلى غيره.

قال: « وَتَفْسِيرُهَا: الَّذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَآء مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾» فسر الشيخ شهادة التوحيد بكلام إبراهيم ﷺ قال: «﴿ إِنَّنِي بَرَآء مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلاَّ

﴿الَّذِي فَطَرَنِي﴾» فتبرأ من جميع معبوداتهم إلا الذي فطره، فهذا لا يتبرأ منه.

في الآية لفتة لغوية وشرعية؛ الاستثناء هنا، هل هو استثناء مُنقطع (كما قال جماعة كبيرة من أهل العلم) أم هو استثناء متصل؟

بمعنى هل هم كانوا يعبدون اللّٰهَ ويعبدون مع اللّٰهِ آلهةً أُخرى، فهو تبرأ من جميع الآلهة إلا من اللّٰه؟ فهذا يسمى استثناءً متصلًا.

لكن قال عدد من أهل العلم: إن الاستثناء مُنقطعٌ فهم لا يعبدون اللّٰه، فتبرأ من معبوداتهم، إلا اللّٰه، فكان كلامه كما لو قال قائل: «لا أريد أي كتاب إلا القَلَم» فالقلم ليس من الكتب، فمعنى العبارة: «أنا لا أريد الأقلا كلها، ولكن أريد القلم» فقد يُحمل كلام إبراهيم ﷺ في الآية على هذا.

وفي الحالتين الآية فيها تبرؤه مِن جميع معبودات قومه، وإثباته ألوهيةَ اللّٰهِ سبحانه وتعالى.

قال: «وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾» فالكلمة السواء هي عبادة الله وحده دون شرك.

قال: « وَدِلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَآءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾» أي: بَشَرٌ مثلكم «﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾» أي: شديد عليه ما يصيبكم بالعَنَت والضِّيق «﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾» أن تؤمنوا وتهتدوا «﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾»

قال: « وَمَعْنَى شَهَادَة أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إلا بِمَا شَرَعَ» هذا ليس معنى الكلمة وإنما مقتضى هذه الكلمة ولازمها. عندما تقول «أنا أشهد أن محمدا رسول من عند الله» هذه لها لوازم، فلا بد من أن تطيع أوامره؛ لأنك شهدت أنه مرسل من عند الله، فطاعته مِن طاعة الله، لأنه إذا أمرك بأمر، فهذا الأمر جاء من عند الله، فإذا لم تنصع لأمره فقد رددت أمر الله، حتى لو

أن الشخص شهد الشهادتين، ثم قال أنه لن يطع الرسول، وسيعمل بالقرآن فقط، فهذا ليس مُسلما.

«**وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ**» ولابد من تصدقه فيما أخبر لأن الله لن يُرسل كذَّابًا؛ فإذا شهدت أن الله أرسله؛ فأنت تشهد عليه بالصدق.

«**واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ**» هذا داخل في طاعته، فنطيعه بالأوامر والنواهي.

« **وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إلا بِمَا شَرَعَ**» هنا ملحَظ دقيق جدا، وفهم عميق من هذا العالم. كيف يلزم من شهادة «أن محمدا رسول الله» أننا لا نعبد الله سبحانه وتعالى إلا بما شرعه محمد ﷺ؟

نقول: إذا علمنا أن الله إذا أراد مِنَّا عملًا فإنه يُرسل لنا رسولا، فهو لم يتركنا هَمَلًا (كما بينا في أول الرسالة) وإنما أرسل إلينا رسُلا. الله لمَّا أرسل الرسول، هل أرسل الرسولَ ليُبَلغ جزءا من الشريعة ويترك الجزءَ الآخر لنا لنخترع نحن شرائع من عندنا؟ لا. إذن هو لما أرسل الرسول، أرسله ليخبرنا بالشرع، فما لم يخبرنا به لا يكون

من الشرع، ولو أننا لنا أن نشرع شرعا من عند أنفسنا لما كان للرسول حاجة.

فتجد أهل البدع حرفوا نصوص الوحيين لوافق العقيدة التي اقتبسوها من الفلاسفة، وزادوا بدعا من عندهم قدموها على نصوص الوحي، وحرفوا النصوص اليوم ليوافقوا الحداثة الغربية، فما عادت نصوص الوحي بالنسبة لهم إلا عبئ يشوش عليهم دينهم، يتعنتون في تحريفها، ويقرِّعهم أهل الدين بها. والحمد لله على نعمة الاتِّباع.

فالله أرسل رسوله برسالة كاملة، ولمّا كانت هذه الرسالة كاملةً فإنا لا يجوز لنا ان نأتي بشرائع من عندنا، لأن الكامل لا نقص فيه فنسُدُّه، ولا عيب فيه فنصلحه، فلا نعبد لله كما نريدبل كما يريد، ولا نعرف ما يريد سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ إلا بما بلغ الرسول ﷺ



وَدَلِيلُ الصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ

وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾

ودَلِيلُ الصِّيَامِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

ودَلِيلُ الْحَجِّ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾



« وَدَلِيلُ الصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾» هذه الآية عظيمة، اشتملت على الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد، «﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ ﴾» يعني هذا الذي جاء به رسول الله ﷺ ما هو؟؟ «﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾» أمرهم بأن يعبدوا الله مخلصين له الدين، أي بعيدًا عن الشرك. الإخلاص هو منافاة الشرك «﴿ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ

﴿حُنَفَآءَ ﴾» حنفاء على ملة إبراهيم ﷺ. وملة إبراهيم التي هي الحنيفية: هي التبرؤ من الشرك وأهله، وقد مرت معنا الآية في ما يتعلق بإبراهيم.

« ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾» فلا بد من إقامة الصلاة ولا بد من الإتيان بالزكاة، وهي مثال للانصياع لأمر الله سبحانه وتعالى، والتعبد له تبارك وتعالى.

« ودَلِيلُ الصِّيَامِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾» فهذا دليل من أدلة الصيام، وفيه دلالة على أن الصيام يورث التقوى، ودليل على أن الأمم السابقة قد كتب عليهم الصيام.

« ودَلِيلُ الْحَجِّ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾»

قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿ومن كفر﴾ هل يعني أن الذي يترك الحج يكون كافرا؟

مِن أهل العِلم مَن قال: «يكون كافرا» وهذا قول الحميدي، ورواية عن أحمد، ولكن الصحيح من قول الإمام أحمد أنه لا يكفر إلا تارك الصلاة. فتارك الحج لا يكفر.

فما معنى قول الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ ﴿ومن كفر﴾ الراجح أنه ليس وصفا لمن ترك الحج، وإنما الذي الدين، بمعنى: إن الله أمر بكذا، وهو غني عن الكافر الذي لا يسمع أوامره.



الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ

وَهُوَ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلاهَا قَوْلُ لا اله إِلا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ.

وَأَرْكَانُه سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ

وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾

ودليل القدر: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾



الإيمان كما قال رسول الله: « بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلاهَا قَوْلُ لا اله إلا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ » لو لاحظنا، فالحديث ذكر أنواع الإيمان الثلاثة، فقوله « فَأَعْلاهَا قَوْلُ لا اله إلا اللهُ » هذا قول واعتقاد، أن تقول بلسانك لا إله إلا الله، وتعتقدَ بقلبك أنه واحد لا إله إلا هو، هذا أعلى شعب الإيمان « وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ » إزالة الأذى عن الطريق هذا عمل بالبدن، « وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ » الحياء عمل من أعمال القلب.

فإذن الإيمان: قول باللسان، واعتقاد في القلب، وعمل في القلب، وعمل في الجوارح.

والإيمان عند أهل السنة يزيد وينقص؛ يزيد بكثرة الطاعة،

ويزيد بالعلم، كأن يعرف الإنسان أسماء الله وصفاته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وبأن يزداد فهما للقرآن، فهذا كله من العلم الذي يزيد الإيمان، وكذلك يزيده العمل؛ فمن كثرت صلاته وكثرت طاعاته وقلت معاصيه يزيد إيمانه، وإذا كثرت معاصيه وكثرت مخالفاته وقلت أعماله؛ ينقص إيمانه. فهذا هو الإيمان عند أهل السنة: قول وعمل يزيد وينقص.

أما أركان الإسلام

قال: « **وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللّٰهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ** » ذكر أركان الإيمان الستة، وقد ذكر نص الحديث ثم أتى بالأدلة من القرآن مما يدلك على عناية أهل العلم بكتاب الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

وترتيب أركان الإيمان له مقصد. فنؤمن بالله الذي الإيمان به هو مركزية كل شيء، ونعلم أنه خلقنا لحكمة، وأن مِن الحِكمة أن يبلغنا بسبب خلقنا، ثم الملائكة الذين ينقلون الرسالة، والرسالة التي تنقل مع الملائكة: هي كتب الله سبحانه وتعالى، فنحن آمنا

بالله وملائكته وكتبه التي تنقلها الملائكة، ثم رُسُلِه الذين تلَقَّوا الرسالات، وأمروا بإبلاغها الناسَ، والناس عليهم أن يعمَلوا بهذه الشرائع، أي يطيعوا الله سبحانه وتعالى ويكفوا عن معصيته، وهذا يعني أنهم سيحاسَبون على أفعالهم، وذلك في يوم الحساب، اليوم الآخروت، فتكون حياتك وعملك بين تشريع الله ومحاسبته.

ثم قال: «**وتؤمن بالقدر خيره وشره**» القدر مراتب.

١- تؤمن أن الله سبحانه وتعالى عَلِمَ كل شيء.

٢- وكتب كل شيء يكون إلى يوم القيامة.

٣- وشاء كل شيء كائن.

٤- وخلق كل شيء.

هذه مراتب الإيمان بالقدر

وقوله «**خيره وشره**» كل شيء يصيب من خير أو شر لا يكون إلا بقضاء الله وقدر الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، ولا يمكن أن يقول الإنسان أن شيئا حصل بدون قدر الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، فإذا قال ذلك

فإنه أثبت خالقا غير الله، وهذا قول عظيم. ثم استشهد قائلا «وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾»: هذه الآية فيها كلام عن اليهود والنصارى الذين تنازعوا في جهة القبلة، فأخبر الله أن البِرَّ وصحة الدين ليست بالقبلة، فهناك ما هو أعظم من القبلة خالفتم فيه، فذكر أركان الإيمان « ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾» ولم يذكر القدر هنا، فقال المؤلف: « ودليل القدر: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾»



الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ

رُكْنٌ وَاحِدٌ ، وهو : «أَنْ تَعْبُدَ اللّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ وقَوْلُهُ

تَعَالَى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾

وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جِبْرِيلَ الْمَشْهُورُ: عَنْ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ:«بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ فَقَالَ: «أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا اله إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» قَالَ: صَدَقْتَ. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ. قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: «مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ

أَمَارَاتِهَا. قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ» قَالَ: فَمَضَى، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا، فَقَالَ: «يَا عُمَرُ أَتَدْرُونَ مَنِ السَّائِلِ؟» قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُم»



أعلى المراتب هي الإحسان، فلو افترضنا أن مدرسًا كلف طلابه بكتابة مقال: فجاء طالب كتب الحد الأدنى بأقل ما يمكن من الجهد، مع تقصير في نقاص، وخلل في أخرى، فهذا يمثل المرتبة الأولى، وأما الثاني فكتبه ووفى بجميع المتطلبات، فهذا يمثل المرتبة الثانية، وأما الثالث، فهذَّبه، ورتَّبه، وكتبه بخط جميل، واستخدم الألوان، فأخرجه بأحسن صورة، فهذا الذي يمثل درجة الإحسان.

قال: « رُكْنٌ وَاحِدٌ ، وهو : أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» أكد على أنه ركن واحد لكيلا يظن الظان أنه ركنان، أولها أن تعبد الله كأنك تراه، وثانيها أن الله يراك، فالواقع

أن قوله ﷺ « فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ » هذا بيان أن استشعار رؤية الله لنا تقوم مقام رؤيتنا له من حيث إحسان العمل.

فأن تعبد الله كأنك تراه؛ إذا رأينا الله سبحانه وتعالى وصلينا له، كيف ستكون هذه الصلاة؟ ستكون صلاة مليئة بالخشوع، مع حسن أداء، وإخلاص. وقس سائر الأعمال على ذلك.

ثم قال: « وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾» الله مع من؟ مع التقاة المحسنين فذكر لك فضيلة هذه المنزلة التي هي منزلة الاحسان، ثم ذكر لك شاهدا على مسألة رؤية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لنا، فقال: «وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ » فكل أحوالك، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يراها فاستشعر ذلك« ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ » كذلك فإنه سميع لما تقول، عليم بما في قلبك «وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾» الشأن هذا قد يشمل التفكير حتى من همَّ بأمر ما، فالله شهيد عليه. فما بالك بالعمل والقول. فالله شهيد على كل شيء، فاستشعر مراقبة الله

سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لك في كل هذه الأحوال.

« وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جِبْرِيلَ الْمَشْهُورُ »

« عَنْ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ ـ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ ـ قَالَ:«بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ» فحاله عندهم غريبة، إذ هم يعرفون أهل بلدهم، وهذا ليس منهم، وبنفس الوقت لا يظهر عليه آثار السفر من تعب، وشعث، واتساخ ثياب « فَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ فَقَالَ: «أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا اله إِلا اللّٰهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللّٰهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» قَالَ: صَدَقْتَ. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ» إذا قال الشخص لغيره: «صدقت» فالناس يقولون هذا صدَّقَه « قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللّٰهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ. قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللّٰهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ

يَرَاكَ» قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: «مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»» والسؤال هنا عن موعدها، وهذا لا يعلمه رسول الله ﷺ ولا جبريل « قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا. قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا » قد يُلمِحُ هذا الحديث إلى ما نراه اليوم من أن البنات، تجد الواحدة منهن تتأمر على أمها وكأنها هي السيدة، وكأن أمها صارت أمَةً لها، تستعبد أمها، تتأمر على أمها، فقالوا قد يكون هذا الحديث فيه إشارة إلى ما نراه اليوم من هذا « وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ» » الحافي هو الذي يمشي بدون حذاء، العاري: هو الذي يكشف أكثر جسده، العالة: هو بحاجة إلى غيره وكذلك الفقراء، هذا يسمى عالة، رعاء الشاة: يعني رعاة الغنم.

فهؤلاء سيصلون في فترة من الفترات إلى أن يتطاولون في البنيان، هذا يبني برجًا، وذاك يبني برجًا أطول منه، فسبحان الله هذا لم يحدُث إلا في أيامنا؛ « قَالَ: فَمَضَى، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا» يعني هذا الذي سأل النبي ﷺ هذه الأسئلة ذهب، فمكثوا قليلا، وجاء في رواية أخرى أن رسول الله ﷺ قال «التمسوه» يعني اتبعوه، فذهبوا ولم يجدوه. فقال ﷺ لعمر «فَقَالَ: «يَا عُمَرُ أَتَدْرُونَ مَنِ السَّائِلِ؟»»

هذا الرجل الذي جاء وسأل هذه الاسئلة « **قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ**» نحن لا نعلم، فننَسبَ العلمَ للهِ وللرسولِ، أنت تعرف بالعلم الذي يعلمك الله إياه، « **قَالَ: «هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ**»» أي: ليسألني هذه الأسئلة وأجيبه بهذه الإجابات أمامكم، لتتعلموا أصول هذا الدين. وسبحان الله هذا من أعظم الأحاديث، إذ يشمل أصول الدين جميعا.

[الأصل الثالث]



مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ

وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ. وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ -عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ-.

وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلاثٌ وَعِشْرُونَ فِي النبوة.

نُبِّئَ بـ﴿اقْرَأ﴾ وَأُرْسِلَ بـ ﴿الْمُدَّثِّرْ﴾

وَبَلَدُهُ مَكَّةُ.

بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَبالَدْعُوة إِلَى التَّوْحِيدِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلاَ تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾

وَمَعْنَى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ.

﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ الرُّجْزَ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلُهَا.

أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ؛ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ.

وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ.

وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلاثَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا أُمِرَ بالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ.



قال« **مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ** » هذا الأصل الثالث.

ثم ذكر نسبه مختصرًا فقال: « **وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ. وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ**» أي: «بنو هاشم» فرع من قبيلة قريش «**وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ -عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ-**»

قال: « **وَلَهُ مِنَ الِعُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً** » أي: هذا ما عاشه من السنين « **مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ** » أي: قبل نزول الوحي عليه « **وَثَلاثٌ وَعِشْرُونَ في النبوة** » وهذه تنقسم إلى ثلاث عشرة عاشها في مكة وعشرة في المدينة.

« **نُبِّئَ بـ﴿اقْرَأْ﴾**» أي بلغه الله النبوة بإنزال هذه الآيات عليه ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ وإلا فهو

قد كتبه الله نبيًّا قبل أن يخلقه(١٧) « وَأُرْسِلَ بـ ﴿الْمُدَّثِّرْ﴾» وذلك لأن الله أنزل عليه: ﴿ يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ فلما أمره بإنذار الناس من عذاب الله، كانت هذه الرسالة إليهم.

قال: « وَبَلَدُهُ مَكَّةُ » أي بلده الأم.

« بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ» أي: التحذير منه «وَبالَدْعُوة إِلَى التَّوْحِيدِ »

وقد فسر الشيخ الآيات، فقال «: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ﴾ يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ» قال ابن قتيبة: «أي طهِّر نفسك من الذنوب. فكنَّى عنه بثيابه: لأنها تشتمل عليه»[١٨] وعن قتادة، قال: « فكانت العرب تسمي الرجل إذا نكث

---

(١٧) جاء عنه «كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد"». مصنف ابن أبي شيبة (٢٠/ ٣٥٦ ت الشثري) قلت: وهذا الحديث قال فيه الدارقطني بعد تخريج أسانيده: «وأشبهها بالصواب المرسل». علل الدارقطني (١٤/ ٧٤) .

[١٨] غريب القرآن لابن قتيبة ت أحمد صقر (ص٤٩٥)

ولم يف بعهد أنه دنس الثياب، وإذا وفى وأصلح قالوا: مطهر الثياب»[١٩] ومن السلف مَن حملها على ظاهرها، وهو الأظهر «﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ الرُّجْزَ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلُهَا ﴿ وَلاَ تَمْنُن﴾» تنقطع عن العمل «﴿تَسْتَكْثِرُ﴾» عن مجاهد بن جبر قال: «لا تُعَظِّم عملَك في عينك أن تَستَكْثِر من الخير»[٢٠] «﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ » سبق ذِكر الصبر.

قال: « أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ؛ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ » فمكث في مكة عشر سنين يدعو إلى التوحيد وهجر الشرك، دون أمر بتفاصيل الشرائع والعبادات « وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ » وكانت هي أول الفرائض. وقد كان يصلي قبلها دون أن تكون الصلاة فرضًا، ولا لها وقت محدد.

« وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلاثَ سِنِينَ» أي مكث في مكة ثلاث سنين

---

[١٩] تفسير الطبري ط هجر (٢٣/ ٤٠٧).

[٢٠] «عزاه السيوطي إلى عَبد بن حُمَيد، وابن المنذر». موسوعة التفسير المأثور (٢٢/ ٣٨٧).

بعد فرض الصلاة «وَبَعْدَهَا أُمِرَ بالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ » والهجرة الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام.

والنظر في ترتيب هذه المراحل يفيدنا في فهم كثير من الأمور، مثلا: بعض الناس يقول: «النبي ﷺ قال: «من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه دخل الجنة» وأنا قلت «لا إله إلا الله» إذن أدخل الجنة ولو تركتُ الصلاة» يقال له: هذا كان في أول الإسلام، ولكن بعد ذلك نزلت الصلاة، فكان من تركها كافر، فلا تحتج بحديث كان قبل فرض الصلاة والحكمِ بكفر تاركها. ثم لمَّا نزل بعد ذلك الحج والصيام والزكاة والصيام؛ كان من تركها فاسق، يستحق العقاب على ذلك، فهذا حاله ليس كحال ذلك الذي لم يؤمر إلا بالتوحيد في أول الإسلام

الهجرة

وَالْهِجْرَةُ: الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلامِ.

وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بلد الإِسْلامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءتْ مَصِيرًا * إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَآء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾

قَالَ الْبُغَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «نزلت هَذِهِ الآيَةُ فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ ولَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللّٰهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ»

وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ ﷺ : «لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ

مَغْرِبِهَا»[٢١]



قال: « **وَالْهِجْرَةُ: الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلامِ** »
تكلم عن الهجرة وأن النبي ﷺ أمر بالهجرة؛ فهاجر من مكة إلى المدينة ذلك أن المسلمين في مكة كان يُضَيَّق عليهم، وكان أهل مكة يحاربونهم، فالنبي كان عندما يأتي فوجٌ إلى مكة في وقت الحج (وقد كانوا يحجون في الجاهلية، وذلك من بقايا دين إبراهيم الخليل ﷺ) فيلتقي النبي ﷺ بالقبائل ويدعوهم إلى الإسلام، فأهل المدينة النبوية كانوا يسمعون من اليهود أن هناك نبي سيبعث، فلما التقَوا به ودعاهم؛ آمنوا به. فهاجر النبي ﷺ إليهم.

قال الشيخ « **وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بلد الإِسْلامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ** » الهجرة حكمٌ ثابت حتى تقوم الساعة، يهاجر المسلم مِن بلد الشرك إلى بلد الإسلام،

---

[٢١] رواه أحمد (١٦٩٠٦) وأبو داود (٢٤٧٩) وقال المحققون: « حسن لغيره ».

حيث يعيش تحت ظل الشرع، ويعاشر المسلمين، فليت شعري، أين نجد اليوم من يقيم الدين، ويرفع للإسلام رأسًا، بل نجدالحكم صار بقانون أهل الشرك، والمسلم غريب في وطنه، العلماء في السجون، والملاحدة على المنابر، وجيوش بلادنا تُمنع فيها الصلاة، وشوارعنا يسَبُّ فيها الله، والمسلم يُنبَز بالتشدد وغيرها من الألقاب، حتى حسد المسلمون أهلَ القبور « **وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ﴾**» قال لهم الملائكة: في أي حال كنتم «**﴿قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ﴾**» أي: كان أهل الشرك يقهرونا في أرضنا فيمنعونا من لزوم دين الله تعالى « **﴿قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾** » فتهجروا أرض الشرك إلى حيث تعبدون ربكم « **﴿فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءتْ مَصِيرًا * إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَآء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾**» فتوعد الذين لم يهاجروا وعصوا الله تعالى، واستثنى الذين لا قدرة لهم على الهجرة «**﴿فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾**»

ومن المسائل التي لم أجد لها مثيًا في تاريخ الإسلام؛ إنك قد تجد مسلما يستطيع إظهار دينه في بلد الشرك، وإذا ذهب إلى بلد للمسلمين؛ مُنع من إظهار دينه. فإذا كان له لحية كان متهما بالإرهاب، وإذا كان يصلي الفجر في المساجد؛ يرفعون اسمه إلى الجهات الأمنية لمراقبته، وإذا عُرِفَ بأنه قوَّال للحق؛ يُسجَنُ حتى لو لم يتكلم في مسائل يخافون أن يتكلم فيها، وبالمقابل، بعض بلاد الشرك عندهم قوانين تمنعهم من إيذائه، فيصير الحليم حيران.

قال: « **وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾**» أي: إن كان عليكم تضييق في أرضكم؛ فهاجروا في هذه الأرض الواسعة لتعبدوا الله بأمان.

قال: « **قَالَ الْبُغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «نزلت هَذِهِ الآيَةُ فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ ولَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللَّهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ»**» قوله: «ناداهم الله باسم الإيمان» أي أنه لم يقل لهم «يا كفرة» كونهم لم يهاجروا، فليسوا كفارا بتركهم الهجرة.

قال: « **وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ ﷺ : «لا تَنْقَطِعُ**

الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»» وهذا دليل على قول المؤلف بأن الهجرة باقية إلى أن تقوم الساعة؛ كلما دعت إليها الحاجة.

الفترة المدنية



فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ؛ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، مِثلِ: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالأَذَانِ، وَالْجِهَادِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلامِ.

أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ.

وَتُوُفِّيَ ـ صَلواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ ـ وَدِينُهُ بَاقٍ.

وَهَذَا دِينُهُ، لا خَيْرَ إِلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلا شَرَّ إِلا حَذَّرَهَا مِنْهُ.

وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ: التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ.

وَالشَّرُ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ: الشِّرْكُ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ.

بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ؛ الْجِنِّ وَالإِنْسِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾.

وَكَمَّلَ اللَّهُ بِهِ الدِّينَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾

وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ ﷺ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾



قال: « فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ؛ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، مِثلِ: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالأَذَانِ، وَالْجِهَادِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلامِ» فالفترة المدنية نزلت فيها سائر الشرائع، فقد آمن الناس وصاروا مؤهلين لتلقي الشرائع المفصلة والانقياد لها «أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ» عاشها في المدينة،

وعلَّم الناس دين الله.

« وَتُوُفِّيَ ـ صَلواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ ـ وَدِينُهُ بَاقٍ » أي أن الدين لم يمُت بموت رسول الله ﷺ

« وَهَذَا دِينُهُ، لا خَيْرَ إِلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلا شَرَّ إِلا حَذَّرَهَا مِنْهُ» هذه مزية دين الله تعالى، أنه دل على كل خير، وحذر من كل شر. « وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ: التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ» قدَّم التوحيد لأنه الأصل « وَالشَّرُ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ: الشِّرْكُ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ » فإذا نظرنا في الكتاب والسنة نجد أنها جامعة في جميع أبواب الخير، تدل عليه، وجامعة في جميع أبواب الشر تنهى عنه.

قال: « بَعَثَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً » فلم يبعثه فقط إلى العرب، بل إلى الناس كافة، فدعوة الإسلام عالمية « وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ؛ الْجِنِّ وَالإِنْسِ » فحتى الجن مأمورون باتباعه « وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾»

قال: « وَكَمَّلَ اللّٰهُ بِهِ الدِّينَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾» هذا الدين كامل فلا يحتاج إلى زيادة. لو ضربنا مثلا، إذا جئت بكأس وعبأته إلى آخره، هل يمكن أن تزيد فيه؟ لا، لأن الزيادة لن تكون في الكأس، بل ستُخرِج ما في الكأس خارجَه وتحل مكانه، وهي ليست منه، وهذا حال البدع، تهدم السنن هدمًا، فعندما تأتي الأذكار البدعية والطرق الصوفية، فهي تَحل مكان الأذكار الصحيحة التي جاءت عن النبي ﷺ، فتأتي هذه الشرائع البدعية لتحل مكان الشرائع الدينية التي أنزلها اللّٰه سبحانه وتعالى. فهذا الدين كامل لا يحتاج إلى بدعة مبتدع.

قال: « وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ ﷺ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾» ذكر الدليل على موته ﷺ لأن بعض الصوفية يقولون: «إنه لم يمت ولا يجوز لكم أن تقولوا أنه مات» بل يخرج بعضهم ويقول عنا: «هؤلاء يسيئون إلى النبي ﷺ» يقصد المسلمين، يسيئون إلى النبي ﷺ،

كيف يسيئون إلى النبي ﷺ؟ يقولون إنه مات!

البعث بعد الموت



وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُواْ يُبْعَثُونَ =وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾= وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾

وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾



« وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُواْ يُبْعَثُونَ » ذكر مسألة البعث بعد الموت، أي

أن هؤلاء الناس الذين ماتوا جميعا؛ فإن الله سبحانه سيبعثهم، أي: سيعيد إحياءهم بعد موتهم، ويجمعهم سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ ليحاسبهم. قال الشيخ: « وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾»

قال: « وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ » أي سيسألهم الله عمَّا عملوا، ويجزيهم الجنة أو النار بحسب أعمالهم، وهم أصناف:

- قوم يدخلون الجنة بدون عذاب، وهم الذين زادت حسناتهم على سيئاتهم.
- وقوم يدخلون النار خالدين فيها أبدًا، وهم الكافرون، ولو كان أحدهم قضى حياته الدنيا في الأعمال الحسنة إلا أنه مات على الكفر.
- وقوم يعذَّبون في النار ما شاء الله ثم يخرجون منها، وهم المسلمون الذين زادت ذنوبهم على حسناتهم، ولم يغفر الله لهم.

قال: « وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾» اللام في قوله ﴿ليجزي﴾ متعلقة بالآية السابقة ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾ فعلِمَ حالهم، وسيجازيهم بما يستحقون.

« وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾» بأحاديثوالدليل قوله تعالى فالآن هو تكلم في إثبات أن الناس بعد موتهم سيبعثون ويحاسبون، ولا يكون مؤمنا إلا بذلك، فأي ركن مِن أركان الإيمان يسقطه العبد؛ يسقط به إيمانه.

الكفر بالطاغوت



وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ

بَعْدَ الرُّسُلِ﴾

وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾

وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا رَسُولًا مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالإِيمَانَ بِاللهِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: «مَعْنَى الطَّاغُوتِ: مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ»[٢٢]

وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ:

---

[٢٢] إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢/ ٩٢ ت مشهور).

- إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللّٰهُ.
- وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ.
- وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ.
- وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ.
- وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللّٰهُ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

وَهَذَا هُوَ مَعْنَى لا اله إِلا اللّٰهُ.

وَفِي الْحَدِيثِ: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامِ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ»[٢٣]

وَاللّٰهُ أَعْلَمُ.

[٢٣] رواه أحمد (٢٢٠١٦) والترمذي (٢٦١٦) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



قال: « وَأَرْسَلَ اللَّهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾» يبشرون الطائعين بالجنة، ويحذرون العاصي من النار، وهذا حال جميع رسل الله عليهم صلوات الله وسلامه « وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ » فأول نبي آدم، وأول رسول نوح ومن الأدلة الواضحة على ذلك الحديث عن يوم القيامة، وفيه: « فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الْأَرْضِ»[٢٤] فالأنبياء بعضُهم رسل، وبعبارة أخرى: ليس كل الأنبياء رسل؛ ولكن كل الرسل أنبياء، فدرجة الرسالة أعلى مِن النبوة « وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ » فهو آخرهم، ولا نبي بعده، ومن ادعة النبوة بعده كافر، ومن صدق هؤلاء الكذبة كان كافرًا مثلهم « وَالدَّلِيلُ عَلَى

---

[٢٤] رواه البخاري (٣١٦٢) ومسلم (٣٢٧ - ١٩٤).

أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾» وجه الدلالة: أنه ذكر الوحي النازل على نوح فمن بعده، والمراد هنا بالوحي: وحي الرسالة.

« وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا رَسُولًا مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾» الرسل أرسلوا الى كل الأقوام، فلم يخلُ قومٌ إلا وقد أرسل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إليهم رسولا.

وقد يقول قائل: نحن لا نعلم الرسل الذين أرسلوا إلى الصين وإلى أمريكا وإلى غيرها من هذه البلاد البعيدة!

فنقول: إن الله سبحانه وتعالى قد قصَّ علينا من أنباء رُسُلٍ يعرفها القومُ الذين أرسل إليهم محمد ﷺ، فقد واجه ﷺ اليهود وواجه النصارى، فالله سبحانه وتعالى أنزل في القرآن قَصَصًا عن الأنبياء الذين يعرفهم هؤلاء لكي يعروفوا صدقه، ويأنسوا لتلك الأنباء التي تذكر رسلهم، أما الأقوام الآخرين فأكثرهم لم يعتنوا

بأنبيائهم وكتبهم، بل قد لا يعلمونهم لانتشار النصرانية أو الوثنية فيهم.

« وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالإِيمَانَ بِاللهِ » إذا كل الأنبياء جاءوا يدلون الناس على الكفر بالطاغوت والبراءة من كل ما عُبد من دون الله، وأن يؤمنوا بالله سبحانه وتعالى. واسم الطاغوت مشتق من الطغيان.

« قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: «مَعْنَى الطَّاغُوتِ: مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ»» ومعنى كلامه: أن ما تجاوز حد كونه عبدًا صار طاغوتا. قال الطبري: «والصواب من القول عندي في"الطاغوت"، أنه كل ذي طغيان على الله، فعبد من دونه، إما بقهر منه لمن عبده، وإما بطاعة ممن عبده له، وإنسانا كان ذلك المعبود، أو شيطانا، أو وثنا، أو صنما، أو كائنا ما كان من شيء»[٢٥]

[٢٥] تفسير الطبري ط دار التربية والتراث (٥/ ٤١٩).

«وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ» هذا كلام الشيخ ابن عبد الوهاب.

«إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ» هو رأس الطواغيت لأن فيه كل صفات الطواغيت، وهو سيدهم ومعلمهم. وعن عمر بن الخطاب، و مجاهد، و الشعبي، و الضحاك، و قتادة، و السدي: الطاغوت هو الشيطان.[٢٦]

«وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ» أي إنسان رضي بأن يعبده الناس، فهذا طاغوت، وقد اشترط الشيخ رضاه، لأن هناك من يُعبد وه لا يرضى، كما فعل النصارى بعيسى ﷺ. قال الإمام مالك: «الطَّاغُوتُ: مَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ»[٢٧]

«وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ» والفرق بينه وبين سابقه أن السابق قد عبده الناس ورضي، أما هذا فدعا لعبادة نفسه، وقد

---

[٢٦] تفسير الطبري ط دار التربية والتراث (٥/ ٤١٧).

[٢٧] تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٤٩٥).

لا يتبعه أحد.

«وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ» أي زعم أنه يعرف الغيب، كالكهنة والمنجمين. وقال جماعة من السلف: الطاغوت هو الكاهن، ومنهم: سعيد بن جبير، و رفيع، و جابر بن عبد الله.

«وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ» وهو الحاكم أو القاضي الذي يجعل لنفسه نظامًا في الحكم يضاهي حكم الله، فيحكم به يفضله على حكم الله، أو يعاند به دين الله. عن مجاهد: «الطاغوت، الشيطان فِي صورة إنسان، يتحاكمون إِلَيْهِ، وَهُوَ صاحب أمرهم»[٢٨]

قال « وَالدَّلِيلُ» أي: على الكفر بالطاغوت «قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾» قال «وَهَذَا هُوَ مَعْنَى لا اله إلا اللهُ» أي الكفر

---

[٢٨] تفسير ابن المنذر (٢/ ٧٤٧).

بالطاغوت والإيمان بالله.

قال: « وَفِي الْحَدِيثِ: «رَأْسُ الأَمْرِ» الأمر: أمر الدنيا « الإِسْلامِ» فبدونه لا تكون إلا كجيفة ميتة « وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ» فإن كل شيء من الدين بدونها يسقط «وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ»» أي أعلى الأعمال وأشرفها الجهاد إذا كان في سبيل الله.

والجهاد جهادان؛ جهاد لسان، وجهاد سِنان، والسنان: السيف. وأما جهاد اللسان فقد نزل فيه قول الله: ﴿ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ قال ابن عباس[٢٩] ومقاتل[٣٠]: بالقرآن. وقال يحي بن سلام[٣١] والسُّدِّيُّ[٣٢]: بالقول

وأما جهاد السيف، فقد جاء فيه قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ

[٢٩] الطبري (١٧/ ٤٧٠).

[٣٠] تفسير مقاتل (٣/ ٢٣٧).

[٣١] التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه (ص٣٣٢).

[٣٢] تفسير يحي بن سلام (١/ ٤٨٦).

اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

وختم رسالته بقوله: « **وَاللّٰهُ أَعْلَمُ. وَصَلَّى اللّٰهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ** »

تمت هذه الرسالة الطيبة المباركة التي فيها أصول هذا الدين الحنيف العظيم.

سبحانك اللّٰهُمَّ وبحمدك نشهد ان لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.

* * *